

الاغتراب في الرواية المعاصرة: نسق للصراع الهوي.

رواية "قناع بلون السماء" لباسم خندقجي "نموذجاً.

*Alienation as a form of identity struggle in modern literature,
"A Mask the Color of the Sky" by Bassem Khandaji, for instance.*

نور الهدى مراح¹ ، هند سعدوني²

¹ المدرسة العليا للأستاذة آسيا جبار قسنطينة، (الجزائر) merah.nourelhouda@ensc.dz

² المدرسة العليا للأستاذة آسيا جبار قسنطينة، (الجزائر)، sadouni.hind@ensc.dz

تاريخ القبول: 2025/02/10

تاريخ الاستلام: 2024/11/09

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة مفهوم الاغتراب في الرواية المعاصرة بوصفه نسقاً للصراع الهويّ، من خلال رواية "قناع بلون السماء" لباسم خندقجي. وقد تمحور حول كيفية تجلّي الاغتراب بأشكاله المختلفة في حياة البطل الفلسطيني "نور المشهدي" الذي يعاني من تمزق هويته جراء ظروف سياسيّة واجتماعيّة معقّدة. كما تناول البحث القناع كرمز للهويّة الزائفة التي يتلبّسها البطل؛ إذ يتنكر بهوية "أور شابيرو" الإسرائيليّ لفهم الآخر ودراسة مجتمعه من الداخل، وتوصّلت الدراسة إلى أنّ الاغتراب يظهر في عدّة مستويات تشمل الاغتراب الدّاتي، والاجتماعي، والمكاني، ممّا يعمّق من صراع الشخصية مع ذاتها ومجتمعها، كما يعكس في الرواية حالة الفلسطينيين المحاصرين في وطنهم، ويظهر أنّ الاغتراب في هذا السياق ليس مجرد تجربة فردية، بل يمثّل صراعاً هويّاً جمعياً تواجهه الشخصية الفلسطينية في ظلّ الاحتلال وتحدياته المتزايدة.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب؛ باسم خندقجي؛ الصراع الهويّ؛ قناع بلون السماء.

Abstract:

This study explores alienation as an identity struggle in "A Mask in the Color of the Sky" by Bassem Khandaji, focusing on the Palestinian protagonist Noor Al-Mashhadi. Noor experiences identity fragmentation under political and social pressures and adopts a false identity, "Or Shapira" an Israeli, to understand his society from within. The mask symbolizes Noor's alienation and his attempt to bridge cultural divides. Alienation manifests on multiple levels—personal, social, and spatial—deepening his conflict with self and society. Spatial alienation particularly reflects the Palestinian experience of confinement, portraying a collective identity struggle under occupation.

Keywords: Alienation; Bassem Khandaji. Identity Struggle; A Mask the Color of the Sky

1. مقدمة

يعدّ الاغتراب من أعمق التجارب الإنسانية التي استحوذت على اهتمام الفلاسفة والشعراء والكتّاب على مرّ العصور، فهو حالة نفسية معقدة مصدرها الشعور بالانفصال والغربة عن الذات والمجتمع والعالم، ولما كانت الرواية واحدة من الأجناس الأدبية التي تتميز بقدرتها الفريدة على الغوص في النفس البشرية، والقيام برحلة استكشافية داخل أغوارها للكشف عن التفاعلات الإنسانية المعقدة فيها، والصراعات الداخلية، وتصوير مشاعر الشخصيات، ودوافعهم، وظروفهم الاجتماعية، والاقتصادية، استطاعت إمطة اللثام عن ظاهرة الاغتراب بمعظم تجلياتها.

والاغتراب من الثيمات البارزة في الرواية المعاصرة؛ فهو يشكل تجربة عميقة متجذّرة في الوعي الجمعي للشعوب، الأمر الذي جعلنا نوجّه تفكيرنا للرواية الفلسطينية التي تعدّ وبامتياز أهمّ الروايات التي كتبت عن الاغتراب، ويتجلى فيها بأشكال متعدّدة بدءاً من الاغتراب عن الوطن والهوية، ووصولاً إلى الاغتراب عن الذات والآخر؛ على غرار رواية "رجال في الشمس" لغسان كنفاني والتي تصوّر معاناة ثلاثة فلسطينيين يحاولون الهروب من وطنهم بحثاً عن حياة أفضل، وتنتهي بموتهم داخل خزان مائي، وكذلك رواية "سوق الإرهاب" لمحمد عبد الله القواسمة التي تتناول العنف والإرهاب اللذين يولّدهما الاحتلال، وتأثيرهما على حياة الفلسطينيين، وغير ذلك من النماذج الروائية التي ركّزت على الصراعات الهويّة، فكيف اشتغلت أنساق الاغتراب في الرواية المعاصرة على رسم الصراع الهوي؟ وكيف تجلّت ملامحه في هذه الروايات؟ ولمنح هذا الإشكال مساحة نشغل داخلها وللإجابة عنه فإننا اخترنا رواية "قناع بلون السماء" للكاتب السّجين "باسم خندقي"، وهي الرواية الفلسطينية الأولى له الصّادرة عن دار الآداب عام 2023، والفائزة بجائزة البوكر لعام 2024 عن فئة الرواية الطويلة، والتي تحكي قصّة شاب فلسطيني يدعى "نور المشهدي" وجد بطاقة هويّة إسرائيلية لشخص يدعى "أور شايرا" في جيب معطف قديم اشتراه من سوق بيع الخردوات؛ ليتلبّس تلك الهويّة من أجل إكمال كتابة روايته عن مريم المجدلّية، ومن هناك تبدأ رحلته مع الأقنعة، ليكون عنوان ورقتنا البحثية: "الاغتراب في الرواية المعاصرة: نسق للصراع الهوي، رواية "قناع بلون السماء" لباسم خندقي" أنموذجا.

إنّها تشرح للمجتمع الفلسطيني بكلّ تفاصيله؛ فقد شكّلت الشخصيات مرآة لواقع مليء بالتناقضات، وأبانت عن ظاهرة الاغتراب التي ظلّت تلازم المواطن الفلسطيني بسبب المآسي التي يعيشها يوميّاً تحت نير سلاح المحتلّ الإسرائيلي.

1. أولاً: حدود الاغتراب الفلسفية:

الاغتراب مفهوم فلسفي واجتماعي ونفسي يأخذ معنى الانفصال والابتعاد عن الذات والبيئة المحيطة والمجتمع؛ حيث يشعر الفرد بالغربة عن كيانه الذاتى وعن هويته وبعدم الانتماء إلى مجتمعه، وقد تناول العديد من الفلاسفة مفهوم الاغتراب بطرق متباينة، فنجد أنّ رواد نظرية العقد الاجتماعي هم أصحاب المبعث الفلسفي الأول لفكرة "الاغتراب"، وتقوم هذه النظرية على أساس اجتماعي، وهو التعاقد بين الأفراد والسلطة، حيث يتنازل الأفراد عن سيادتهم وبعض حقوقهم مثل الحرية المطلقة مقابل ضمان الحصول على الأمن والسلام من طرف الجماعة السياسية التي تمثلها السلطة، وقد "اعتبر كلّ من توماس هوبس وجون لوك أنّ الإنسان تخلى تاريخياً عن حقه الطبيعيّ بالعيش الحرّ من أجل انتقال السيادة منه إلى المجتمع السياسيّ أو الدولة، وتكلّم "جان جاك روسو" عن تنكّر الإنسان لذاته بتسليمه سيادته في الحياة الطبيعيّة، معتبراً هذا النوع من الاغتراب أمر عبثيّ وبلا معنى، إن لم تنتقل السيادة إلى المجتمع نفسه"¹.

أمّا "هيجل" الذي أطلق عليه أبو الاغتراب فهو أوّل من "تحوّل الاغتراب على يديه من مجرد شكل، أو فكرة، أو كلمة، إلى مصطلح فنيّ ومفهوم دقيق يستخدم عن قصد"² ومن خلال تنظيراته لم يعد "الاغتراب" مصطلحاً عامّاً يشير إلى الانفصال عن الذات، والمجتمع، بل تحوّل إلى مفهوم دقيق يتمّ توظيفه ودلالاته في حقول ابستمولوجية كعلم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والسياسة والفلسفة، وذلك لتفسير وتأويل دلالات هذه الظاهرة اللصيقة بالوجود

الإنساني منذ الأزل، وقد "استخدم" هيجل "مصطلح" الاغتراب" استخداماً مزدوجاً، أحدهما سلبيّ بمعنى (الانفصال)، والثاني إيجابيّ بمعنى (التسليم)³، ففي حالة الانفصال تنفصل الذات عن العالم وعن المجتمع، وتصبح غريبة عنه، فيشكّل ذلك شعوراً سلبيّاً وتنافراً وينشأ الاغتراب بمعناه السلبيّ، أمّا في حالة التسليم فيحدث ما يشابه فكرة "العقد الاجتماعيّ" حيث يقوم بطريقة طوعية بالتخلي عن استقلاليّة ذاته لصالح البنية الاجتماعية.

لنجد "كارل ماركس" قد ناقش هذه الفكرة في مقالاته التي نشرت سنة 1932 باسم "مخطوطات باريس" Manuscript Paris حيث يرى بأن الاغتراب هو "حالة عامة في المجتمعات الرأسمالية التي حوّلت العالم إلى كائن عاجز وسلعة بعد أن اكتسبت منتجاته قوّة مستقلة عنه ومعادية له"⁴ وفي هذا القول يظهر انتقال مفهوم الاغتراب عند "كارل ماركس" من مفهومه الفلسفيّ العام وربطه بالاقتصاد الذي يعتبره المنطلق لكلّ أنواع الاغتراب، فالتشيؤ الذي يحسّ به الإنسان العامل -خصوصاً في الطبقة الرأسمالية - جعلته مستعبداً من طرف صاحب العمل أو السوق، وهذا ما خلق انفصالاً بين العامل وعمله، من هذا المنطلق ناقش "كارل ماركس" فكرة مهمّة أسماها "الاغتراب الناتج عن العمل" ف: "هذا الناتج يعكس حاجات السوق ويتبع قوانين العمل، وليس حاجات الإنسان واهتماماته"⁵.

يرى "جان بول سارتر" رائد المدرسة الوجوديّة أنّ الاغتراب يكون نتاج الصّراع في العلاقات الإنسانية التي يمثّلها في الواقع طرفان الأنا/الآخر، فحسبه أنّ "الإنسان يغترب عن نفسه ليس فقط في مواجهة العدم، بل أيضاً من خلال علاقته مع الآخر، إنّ في هذه الحالة قد يختبر نفسه من خلال نظرة الآخر، أي كموضوع أو كشيء"⁶ وبالتالي فالاغتراب عنده ليس محصوراً في الانفصال عن الذات فحسب، وإنّما يكون نتيجة وعي الأنا بالآخر والصّراع بينهما، حيث يستحيل كلّ منهما موضوعاً أو شيئاً في وعي الآخر، ويصبح محاصراً في تصوّره عنه، وهذا ما يؤدي إلى فقدان جزء من الذات والحرية، حيث تصبح تصرّفاتنا وردود أفعالنا مرتبطة بالغير، وإن كان في هذا المفهوم جانب إيجابيّ يتمثّل في تفاعل الأنا مع الآخر وفق ما يقتضيه سياق العلاقات الإنسانية والاجتماعيّة إلّا أنّ تلك العلاقة تسلبه تفردّه وتجبره على الخضوع للآخر.

إن الاغتراب كقضيّة فلسفيّة مهمّة قد ألقت بظلالها على العديد من الحقول المعرفيّة والفكريّة، ولم يكن الأدب المعاصر -خاصة الجنس الروائيّ- بتاتا بمعزل عن احتضان مقولاته وتجسيدها عبر متونه لتكون بعض أنساق الاغتراب بعدد من مختلف دلالاتها في الرواية المعاصرة محلّ اهتمام دراستنا هذه، لتتخيّر بهذا رواية "قناع بلون السماء" لاستكناه نسق الاغتراب كنسق للصّراع الهويّ في هذا الإبداع الأدبيّ.

2. ثانياً: "قناع بلون السماء": عتبة بلون الاغتراب:

يعتبر العنوان من أهمّ العتبات النصيّة، فهو "نصّ مختزل ومكثّف ومختصر، إنّ نظام دلاليّ رامز له بنيته الدلاليّة السطحيّة، وبنيته الدلاليّة العميقة"⁷، إنّ خطاب قصير له بعد تكثيفيّ مركز الدلالة؛ له دلالاته اللغوية الظاهرة، والأخرى المضمرّة التي تعدّ أكثر عمقا يستكهنها المتلقّي، وتمكّن العناوين -كعتبات موازية للمتون- من تحديد تأويل النصّ ومجال اشتغال دلالاته، ولهذا يعتبر النّواة الدلاليّة للنصّ التي تختزل مقصديّة الكاتب ورؤيته، وثقافته وتجاربها، ويعتبر من أهمّ وسائل التّواصل بين القارئ والمتون النصيّة.

وقد جاء عنوان المدوّنة "قناع بلون السماء" عبارة عن جملة اسميّة مكوّنة من: كلمة "قناع" التي جاءت في بداية العنوان خبراً لمبتدأ محذوف فالأصل في الجملة "هذا قناع بلون السماء"، أو حسب ما يقتضيه المعنى لأنّ الجمل لا تبدأ بنكرة وإن حدث ذلك فمعناه أنّه هناك لفظاً محذوفاً، لتأتي شبه الجملة المركّبة تركيباً إضافيّاً "بلون السماء" لتمنح دلالات لهذا القناع، وهذه الدلالات قد لا ترتبط بالتّعريف بلون القناع فقط، وإنّما ترسم بعداً ثقافيّاً لاشتغالات هذا

القناع، وتمنح المتلقّي رؤية تأويلية للعناصر المشكّلة لهذا العنوان تتجاوز ثوبه اللغوي، فعلامة "القناع" في اتّحادها مع علامة "بلون السماء" منحت دلالات كثيرة، كان أبرزها في قراءة أولى الخفاء والتجلي.

إنّ هذا العنوان مقسّم إلى علامتين دلّيتين هما:

العلامة الأولى هي "قناع": إن القناع يُستخدم للتنكر، مما يؤوّل بنا إلى استكنائه دلالات التخفي، وقد يرمز ذلك إلى الخداع أو الادّعاء أو التزييف، كما يمكن أن يؤدّي التنكر إلى تجريد الفرد من هويته الشخصية تبعاً للتغيرات الناتجة عن ارتداء هذا القناع، وهذا ما استخدمه بطل الرواية حينما قرّر التخفي وراء هوية "أور شايرا" لاختراق المجتمع الإسرائيلي، إنّ الحجب ليس بداعي الانعزال إنّما بداعي اقتحام المجتمع الإسرائيلي ومعرفة تفاصيله.

كما ارتبط القناع كذلك بالحماية من الأخطار وضمان استمرار العيش كما يفعل الهنود الذين يضعونه في مؤخرة رؤوسهم للتّمويه على الحيوانات أثناء رحلة الصيد⁸. وهذا ما يرمي إليه "نور المشهدي" من وضع قناع "أور شايرا" من أجل حماية هويته المزيفة من الانكشاف، أمّا من أجل تمثيل شخصية "شايرا" بكلّ صراعاتها النفسية ونوازعها الإنسانية بشكل يحتمل الصدق ويحدّ التأويل، وكما يحدث في المسرح الذي يستخدم القناع كتمثيل متطابق بشخصية أخرى، وضع "نور" قناع "شايرا" الإسرائيلي ليتمكّن من تجسيد شخصية المواطن صاحب الحقوق الكاملة في وطنه الذي اغترب فيه ليصل إلى ما يريد.

العلامة الثانية: لون السماء، وتحيلنا إلى دلالات كثيرة من بينها: عدم الثبات؛ لأنّ لون السماء ليس واحدا فهو يتغيّر ويختلف بسبب عوامل كثيرة، لكن ماذا لو دلّ على لون السماء في الليل؟ ماذا لو كان لون السماء في النهار؟ أو أثناء شروق الشمس أو غروبها؟ وقد يتأثّر لونها كذلك باختلاف الطّقس فلون السماء يختلف في حالة الصّفاء عن حالة الجوّ الغائم، وهذا ما خلق دلالات متناقضة في العنوان حيث جمع بين القناع الذي يدلّ على الثّبات في التعابير، وبين لون السماء المتغيّر، وتحيلنا ذلك تبعاً على الصّراع النفسي الذي وقع فيه بطل الرواية "نور المشهدي" حينما اختار التّقمّع بهوية العدو لمعرفة نفسه، كما يشير لون السماء إلى اللون الأزرق، وهذا اللون له علاقة بالمتن الروائي حيث يوحى إلى لون الهوية الإسرائيلية، وهذا هو القناع المقصود، وقد وردت إشارة إلى ذلك في النصّ وذلك عندما ساعدته "أيا لا شرعابي" اليهودية للدّخول إلى الكيبوتس "ناتان...أورواحد منّا...أزرق أبيض"⁹.

وقد ورد تفسيرها في حاشية النصّ بأنّها إشارة إلى علم الكيان الصهيوني، وفي موضع آخر قد نجد أنّ زرقة لون السماء تحيل إلى الملامح الأشكنازية الأوروبية التي يتميّز بها بطل الرواية، والتي ساعدته على ارتداء قناع الآخر بكلّ سهولة، وهذه الملامح يتميّز بها يهود أوروبا، والأشكناز لفظة متداولة في فلسطين فعندما يريدون أن يكتنوا عن شخص ما بالخبت يطلقون عليه لفظة "الأشكنازي"، وذلك لأنّ اليهود مشهورون بخبتهم.

وفي قراءة شاملة للعنوان كوحدة دلالية فإننا نرى بأنّ "قناع بلون السماء" هو تركيب لغويّ ضديّ حمل دلالات ثنائيات ضدية امتدّت دلالتها على طول المتن الروائي، فهي انعكاس للخفاء والتجليّ الذي يلمس هوية البطل، وشخص الرواية فيما يحيط بهم من أحداث قد كثّف هذه الدلالة، فالقناع يمثّل ما يراه الفرد، وما يريد للآخرين رؤيته، أمّا السماء فهي الوضوح والتجليّ، وما يستطيع الكلّ رؤيته، أو هي في قراءة أخرى لون القناع الذي أجبر الكثيرون على اختياره من أجل غاية هي إثبات هوية الذات التي عمل الآخر على تقويضها وقلبها كما يحلو له.

ثالثاً: ملامح الاغتراب وصراع الذات:

إنّ القارئ لهذه الرواية يلمح منذ الصّفحات الأولى أنّها تشريح للواقع الفلسطينيّ بكلّ تفاصيله؛ فقد كشفت اللّثام بذلك عن ظاهرة الاغتراب التي هي "إفراز لظروف معيّنة"¹⁰، وقد عكست الشّخصيات في الرواية ما في الواقع

المعيش من تناقض وصراعات هويّة ناتجة عن الاضطرابات النفسيّة والاجتماعيّة خصوصاً لدى البطل "نور المشهدي" الذي يعتبر محرّك الأحداث فيها.

من الآثار التي خلفتها الضغوط النفسيّة والاجتماعيّة التي يتعرّض لها بطل الرواية لجوؤه إلى الاستمنا والتخيّلات الجنسيّة أحياناً أخرى، إذ يستمتع باللذة بعيداً عن الواقع، فقد جاء على لسان السارد "لا، لم يكن نور المشهدي ناسكاً، بل كان يخشى عروض الجنس العابر والجنسيّة المخطوفة، كان يهرب منها ويردّها عنه بتفريغه لحمم شهوته عبر عاداته السريّة مضاجعاً بأشكال الفانتازيا إبّاحة الفندق بأكمله"¹¹.

إنّ هذا التوجّه هو تعويض عن شعور الفقد الذي يحسّه البطل فالجنس "يأتي كأحد الأقمعة التي يتحقّى فيها الفراغ الوجودي عند المغترب، بحيث تكون إرادة اللذة هي البديل عن إرادة المعنى المفقودة، فغالباً ما ينتهي الإحباط الوجودي الناتج عن غياب المعنى بالتعويض الجنسي"¹²، فاغترابه في الواقع خلق فراغاً داخل روحه، وهذا ما جعله يملأ هذا الفراغ بتخيّلاته الجنسيّة التي تجعل من اللاّ ممكن ممكناً، ومن المستحيل محققاً لأنّه أراد ذلك، وهذا ما نلمسه في إحدى أهمّ الروايات العربيّة "موسم الهجرة إلى الشمال" للروائي "الطيب صالح" الذي يقدم بطله (مصطفى سعيد) - وقد عاش اغتراباً مكانياً فعليّاً عن وطنه- بصورة المنتقم عن طريق الجنس من الأوروبيات في لندن، كنوع من إثبات فحولته الشرقيّة، فهو ينتقم لاغترابه ويعوّض نقائصه النفسيّة التي خلفها المستعمر في بلاده من خلال الجنس.

طرح "بندكت أندرسون" ثلاث مكونات أساسية للهوية وهي: اللغة، الحدود والسيادة كما أضاف المفكرون عنصر الدين والانتماء للوطن،¹³ و الاغتراب في عمومته نتيجة لصدمات يتعرّض لها الإنسان في أحد هذه المكونات إمّا تجعله يختار هذا الاغتراب هرباً من الماضي الذي قد يؤذيه في حاضره، أو يعيشه مرغماً لأن هويّته قد تمّ التلاعب بملاحمها قسراً، وهذا الأمر قد يقود المرء للثورة ضد واقعه بما يحمله من ملامح وتشكيلات وحمولات وقيم وعادات، الأمر الذي "جعل" المشهدي "يعيش الضياع ويبحث عن مصدر آمن له وقد وجده في الشّيخ الصّوفي الذي آواه في مدينة القدس الشريف، لكنّه يتوقّف عن صوم رمضان كتعبير عن الغضب المكبوت لأنّه ارتبط في ذاكرته بسجن صديقه "مراد" فهو يتمرّد على ما تعود عليه ويستعلي على واقعه، "ومنذ ذلك المساء الكارثي، لم يعد نور على قيد الالتزام بصيام شهر رمضان، بل على قيد صمت ذي إمعان مزمن"¹⁴

لقد أبانت الحوارات الداخليّة بين شخصيتي "نور" و "أور" عن صراع متأجج بين هويّتين؛ الهوية التي تسكنه، والأخرى التي تبتّأها، ولتقديم المحتوى النفسيّ للشخصيّة؛ تمّ اللّجوء إلى المونولوج وهو "حوار طويل تفضي به شخصيّة واحدة وليس موجّهاً إلى أشخاص آخرين، وإذا كان الحوار غير منطوق ذي الصّوت العالي للشخصيّة، فإنّه يشكّل مونولوجاً داخليّاً وإذا كان منطوقاً فإنّه يشكّل مونولوجاً خارجيّاً ومناجاة للنفس"¹⁵.

وهو في الأعمال الفنيّة والأدبيّة "دليل على عدم انسجام البطل المستوحش المنطوي على نفسه مع الواقع الخارجيّ"¹⁶ ف: "نور المشهدي" يخوض صراعاً داخليّاً عميقاً ناتجاً عن شعوره بأنّه مقيد بقناع زائف لا يعبر عن حقيقته، ويشعر بقلق واضطراب نتيجة التباس هويّته، فماضيه يمثّل حقيقته الجوهرية أمّا حاضره فيعكس نفاقاً وزيفاً وبترا لصلته بالعالم الحقيقي .

وهذا ما نلمسه من خلال العديد من مقاطع الرواية حيث نجد أنّ ذاته تنشط بين ثنائيّة (نور صاحب الأرض /أور المحتل) ومن الغرابة أن تنبثق هذه الثنائيّة من ذات واحدة، فيقول مخاطباً "أور شابيراً" "قلت لك أنا لا أنتحلك.. أنا أدركك.. أتعلّمك.. أريد التعرف على كيفيّة قيامك بالنظر إلى الواقع وأحواله"¹⁷، فنحن نولد من أصل واحد، ثمّ نختار أن نفترق، بعد أن نتسمّى وننطق بألسن مختلفة، فيغترب الفرع (التعدّد) عن الأصل (الإنسان)، وعليه يعمل المونولوج على

كشف أنساق الفكر الواعي والمدرّك للواقع وطرحها، وكذلك الإبانة عمّا لم يستطع الواقع قوله، لتبدأ أسئلة الهوية في خلق ملامح الأنا ورسم الآخر بصورة أكثر منطقية.

وأما عن اختيار اسم شخصية البطل فنجد أنّ معنى اسم "أور" باللغة العبرية هو "نور" ولهذا الاختيار دلالات عميقة توحى بولادة جديدة لهوية جديدة باختلاف أفكارها، وثقافتها، وأيديولوجيتها تنبع من ذات واحدة وإن كانت هوية مزيفة ولا تعبّر عن الحقيقة، وهنا نجد أنّ بطل الرواية اختار الاغتراب بإرادته ووضع القناع ليقاوم الشّعور به، وبوعي منه ورغبة منه في قراءة الآخر، فهو يريد أن يقرأ تفاصيل الهوية التي أعطت لنفسها الحق في الوجود، والاستيطان، والاعتقال، والاغتيال، وتهميش، وإقصاء صاحب الأرض، وتحديد هويته وتصنيفه كلاجئ حتى قبل ولادته.

"إنّ المغترب ذاتياً، الذي يفقد معنى الحياة ويعاني أزمات تتصلّ بالوجود والعدم، تعصف برأسه عدّة أسئلة يصفها ولسون بأنّها تمثّل مشاكل اللاتمنّي"¹⁸ وقد طرح بطل الرواية العديد من الأسئلة الوجودية منذ البداية سلّط الضوء على الصراع النفسي وما تنوء به الذات من قلق وألم وفراغ جراء انتحاله لهوية الآخر كما تبين عن طبيعة النفس البشرية، والمغزى الخفي من الوجود، وهذا ما جعله يكرّر "من أنا؟ من أبي؟ ماهي الأزقة؟ أين هويتي؟ أين ظلي؟ أين مرأتي؟ ماذا أفعل هنا؟"¹⁹، ويذكرنا هذا القلق والصراع النفسي برواية "المسخ" لـ "كافكا" والشّعور الذي أحسّه البطل "جريجور" عندما وجد نفسه فجأة تحوّل إلى "حشرة ضخمة" وتغيّرت هويته؛ الأمر الذي قلب حياته بشكل جذري، إنّ "القلق الذي بلغ حدّاً بأن لم تلق هيئته المريحة "حشرة ضخمة" التي استيقظ عليها اهتماماً منه قدر اهتمامه بأن لا يتعرض منصبه في الشركة التي يعمل بها للخطر جراء ما حدث له، فيخسر بالتالي وظيفته، وهو المتكفل، كما يقول بتوفير الرزق لأبويه وأخته"²⁰، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ القلق الذي عصّف بالشخصيات الروائية يعبّر عن أعمق شعور للذات، وهو طبيعي في ظلّ الظروف السياسية والاجتماعية التي لازمت "نور" منذ نشأته، وهي تعكس حالة المجتمع الفلسطيني المنقسم إلى فئات عديدة من: فلسطيني الخارج الذين يعيشون في المخيمات، وفلسطيني الشتات الذين يعيشون بهويّات إسرائيلية، وفوارق النظرة بينهما وهذا ما مثله في الرواية كل من "نور المشهدي" و"سماء إسماعيل"، وهنا نجد نوعين من الاغتراب: اغتراب ذاتي جعل "نور المشهدي" يصارع ذاته كفلسطيني من أجل تحقيق طموحاته الشخصية في ظلّ جوّ مشحون بالصراع مع الآخر الصهيوني وهذا ما جعله يحسّ بالتمزّق والانسلاخ، واغتراب اجتماعي سببه غياب العدالة والحرية، وهو اغتراب نابع عن ذات جمعية يحكمها الضمير الجمعي الذي يحمل الأفكار والمعتقدات والأحاسيس والتوجهات الأخلاقية المشتركة في المجتمع الواحد²¹، فانتفاء الفرد إلى مجتمعه مرهون بتمتّعه بكامل حقوقه، فإذا لم يتحقّق ذلك اختلّ التوازن الهوي عندّه وأحسّ بالاغتراب،

وهذا ما جعل والد البطل "مهدي المشهدي" – وهو من الشخصيات الثائرة على الواقع الفلسطيني- يلجأ إلى الصمت نتيجة الصدمة التي تلقاها بعد قضائه فترة من الزّمن في سجون الاحتلال، فقد سكت والد "نور" عن الكلام نهائياً بعد خروجه من السّجن، ليجد زوجته قد توفيت ورفاق النّضال قد باعوا القضية من أجل امتيازات منحت لهم بموجب اتفاقيات "أوسلو" لوقف أعمال الإرهاب والتّخريب حسب قاموس المحتل الصهيوني، الأمر الذي خلق عنده اغتراباً عمّا كان يؤمن به وترعرع عليه من حرية ونضال وحبّ للوطن؛ فالصّمت هنا أبلغ لغات الاغتراب التي عبّرت عنها الرواية.

إنّ الاغتراب كظاهرة نفسية واجتماعية وفلسفية يلعب دور الورم المتضخّم يبدأ من الذات لينتشر داخل المجتمع فيحدث بذلك تقويضاً للهوية ويشوّه ملامحها على المدى البعيد.

رابعا: الوطن أرض الاغتراب!

"لقد طرأ على الهوية تقلّبات جذرية وفق اللحظة الأنطولوجية، تحملها الذات في الزّمان والمكان"²²، إذ لم يعد المكان مجرد رقعة جغرافية يعيش عليها الإنسان، أو موطناً لرزقه فقط، بل إنّه ذاكرته الثقافية التي تؤرّخ للانتماء والهوية؛ فالإنسان "لا يحتاج إلى رقعة فيزيقية يعيش فيها، بل يميل كذلك إلى البحث لنفسه عن رقعة من الأرض يضرب

فيها بجذوره وتتأصل فيها هويته. ومن هنا كان ارتباط البحث عن الهوية بالبحث عن المكان²³، وقد يحدث أن يكون بين الإنسان والمكان الذي ينتمي إليه حالة من عدم الاستقرار والتناظر المعنوي رغم الإقامة به، وهذا ما يسعى بالاغتراب المكاني، ومن هنا تنطلق رؤيتنا في استقراء علاقة "نور المشهدي" بالمكان الذي لعب دورا محوريا في تعزيز شعوره بالانفصال عن ذاته وعن محيطه، إنه اغتراب في أقصى ملامحه وأوضحها، وقد ظهر في تركيب بنية هذه الشخصية الروائية التي تمنحنا تمثيلا لواقع فلسطيني طاف على السطح منذ نكبة 1948.

طغت ثيمة المكان على أحداث روايتنا خاصة فيما يتعلّق ببطلها "نور المشهدي" إنّه "المفجوع، والمكطوم، والكاتم، والمكتوم والتائه والمغترب الذي ولد جاهزا مجهزا بكلّ عتاد البؤس المتاح وغير المتاح في هذه الأزقة"²⁴ فالزقاق هو المسار الذي يربط بين اللاجئين في المخيم ويشكّل هويتهم الجمعية، ويفترض أن يحمل هذا الحيز الجغرافي المفتوح والمغلق - بل شديد الإحكام في الآن ذاته - الذكريات الجميلة، وصور اللعب مع أصدقاء الطفولة، ويمثّل مظاهر الفطرة السليمة، ولكن يعزى انفتاحه عند الروائيّ إلى اغتراب سلمي لا إراديّ ناتج عن واقع مأساويّ مليء بالفجائع التي تحيط بالواقع الفلسطينيّ المحاصر من المحتلّ الإسرائيليّ، حيث تبدو علاقته به عدائيّة، لأنّه ولّد عنده الإحساس بالسلبية والعجز والتمزّق، وكلّ التفاصيل المشوّهة التي حملتها تضاريس الذاكرة.

وأما المخيم فبالرغم من أنّه مكان ميلاده وترعرعه فهو لا يشعر بالانتماء معه، وذاكرته تحمل عنه مساحات قاتمة من العدوان والظلم وذكريات مشوّهة عن الهوية والانتماء، والحرية "لقد أُلْعِقَ عن المخيم منذ زمن، منذ خروج أبيه من المعتقل، منذ اعتقال صديقه مراد، وأما رام الله فهو لم يتقنها يوما لم يشعر بها"²⁵. فالإنسان بفطرته مجبول على حبّ المكان الذي نشأ فيه وألفه؛ ولربّما يكفينّا أن نقرأ الحاجة للانتماء في المقدّمات الطلّية لشعراء العصر الجاهليّ الذين كانوا يتغنّون في أشعارهم بديارهم الأولى ويبكونها كونهم يعيشون حياة غير مستقرة، ويتنقلون من مكان إلى آخر بحثا عن الماء والكأ، أما "نور المشهدي" فنجدّه في حالة تنافر مع المخيم، فهو ليس مجرد مكان للعيش، إنّهُ تلك القطعة من القماش التي شدّت حتى تمزّقت، وهي تحمل تاريخا كاملا وتجسّد معاناة الإنسان الذي انكسرت أحلامه وآماله، وتشوّهت هويته.

إنّ المخيم في هذه الرواية هو رمز للنكبة الفلسطينية وتشريد الفلسطينيين من أرضهم، إنّهُ مكان للحياة القاسية والظروف الصعبة التي فرضت عليهم نتيجة الاحتلال، لذلك لم يعد مهمّا أن نطلق عليه اسما لنفرقه عن غيره من المخيمات وحتى أسماء اللاجئين لم يعد لها معنى، لأنّه مصنّف منذ ولادته، فالمعاناة مشتركة بين جميع اللاجئين الفلسطينيين "فما الحاجة إلى الأسماء إذن؟" ليس ثمة معنى لاسم المخيم الفلسطينيّ إلا عندما ترتكب فيه المجزرة، ليصبح اسما من أسماء المآسي في تاريخ الإنسانية... وأما مخيمه هو فلم ترتكب فيه بعد أيّ مجزرة تذكر²⁶.

بيد أنّه في عرفنا الثقافيّ ترتبط الأسماء بهوية الأماكن، وتستمدّ منها جذورها، وقدسيّتها حيث تجعل منها منطلقا لسرد تاريخها، وتحديد الجغرافيتها، وتجسيدا لثقافتها، فكلّ الأشياء في هذا الكون تعرف بأسمائها، وإذا سقطت عن الأمكنة طفت مشكلة وجوديّة، وما هذا إلّا دليل على الاغتراب والصراع الهوياتي الذي يعاني منه "نور المشهدي"، وبقية الشخصيات.

عطفا على ما سبق، المدينة فضاء مكانيّ مفتوح يؤثّر للفرد هويته، فمنها يستمدّ كينونته، وانتماءه، وثقافته المحليّة، وقيمه الاجتماعيّة، ومن خلالها يرسّخ بصمة الهوية الجمعية، ولكن قد يشعر الفرد بالاغتراب عنها لأسباب كثيرة منها: فقدان الحرية، والاستقرار، وخصوصا في المدن الفلسطينيّة التي تشهد انتكاسات سياسيّة، واجتماعيّة وحروباً بسبب الاحتلال الإسرائيليّ وممارساته؛ وهذا ما جعل بطل الرواية يحسّ بالاغتراب عن مدينة رام الله التي نشأ فيها، فالتطبيع التي تفرضها الحياة في المدينة عموما، وفي رام الله خصوصا عكست معاناته التي ظلّ يكابدها كونه مهمّشا؛ فقد

ولد لاجئا فيها وهو صاحب الأرض، إنّ الحروب التي دمّرت الأمكنة دمّرت الهويّات معها، وفي هذا انتفاء للإنسانية التي تقوم على مبدأ العدل والمساواة والحرية.

شهدت الرواية مفارقة مثيرة للاهتمام، حيث أعلن البطل "نور المشهدي" عن اغترابه بشكل مغاير، فقد أعاد تعريف المكان من جديد؛ فالمخيم، والأزقة، والمدن لم تعد بالنسبة إليه مساحات جغرافية يعيش فيها الإنسان، ويمارس حرّيته عليها، إنّما استحوّلت سجنا يكبل حقوقهم في الحياة، وأحلامهم، وطموحاتهم؛ وكلّ الأماكن التي سبق ذكرها هي معادل موضوعي للوطن المفقود، والهوية المستلبة من الكيان الصهيوني، وهذا ما قاله لصديقه "مراد": "كم أحسّك يا مراد على سجنك الأصغر، لأنّ واقعك الحديديّ هذا واضح الملامح مكوّن من معادلة بسيطة، لكنّها قاسية: سجن، سجين سجان... ولكن هنا في السّجن الأكبر الأمور لم تعد واضحة"²⁷.

فالسّجن كفضاء مكانيّ مغلق يحمل دلالات موت الحرية، وتكبير الإرادة، وسلب ملذّات الحياة، وقد فطر الإنسان على حبّ الحرية والقتال من أجل الحصول عليها، وعلى عكس الشائع؛ ففي هذا المقطع يبدو أنّ نور يتميّ أن يكون سجيناً في سجن ماديّ بجدران وأبواب مغلّقة، لأنّ السّجن الذي يقبع فيه مراد هو سجن مغلق واضح الملامح له حدود وحواجز ومعادلته واضحة: سجن، سجين، سجان، أمّا سجنه/واقعه فهو أشدّ قسوة، ومن مواصفاته أنّه مكان مفتوح محاصر من العدوّ يفرض القيود على الحركة والتّفكير حتّى أضحى الواقع والمستقبل كلاهما معادلة يستحيل حلّها، إنّ سجن الدّات وفصلها عن هويّتها. إنّ المكان باختلاف مسمّياته وحيثياته وتشكيلاته في روايتنا يعبر عن الوطن، فكلّ الأماكن التي ذكرت آنفاً مثّلت جزءاً من الوطن، فاغتراب "المشهدّي" في تلك الأمكنة هو تمثيل لاغترابه الأكبر.

خامساً: القناع الذي يأبى أن يسقط:

تجلّت فكرة القناع في الرواية من خلال العنوان، وتكرّرت في المتن الروائيّ مرّات عديدة فهي ليست فكرة جديدة، فانطلاقاً من الرّسومات التي عُثِر عليها في الكهوف، حيث صوّر البشر القدماء الحيوانات التي كانوا يصطادونها، ويرتدون جلودها ورؤوسها للتخفيّ أثناء رحلات الصّيد، وصولاً إلى الأقنعة التي ارتداها الممثلون على المسرح الإغريقيّ القديم والتي سمحت للممثلين بالتحوّل إلى شخصيات مختلفة يرسمها القناع ولونه وشكله وحجمه، أصبحت الأقنعة بهذا تقنية للتّمويه، لتكون بعدها موضوعاً مركزيّاً في الفنّ والأدب خاصة، وقد وردت هذه الفكرة عند العديد من الفلاسفة، إذ نجد "جان جاك روسو" يهتمّ بأدوات التنكر "وهذا ما أشاع كثيراً في مؤلّفاته كلمتي "حجاب" أو "قناع" أو بما يوحي بمعنيهما كإشارة لهذا النوع من الاغتراب"²⁸ وقد تطرّق إليها في روايته "هلويّز الجديد" حيث يقول على لسان البطل الذي شاهد مدينة باريس لأوّل مرّة: "إنّني حتّى الآن لم أر سوى أقنعة كثيرة، حين وقعت عيناى على وجوه النّاس"²⁹ وفيها ينتقد بشدّة مظاهر الرّيف الاجتماعيّ، ففي المجتمعات الحديثة قد يضع الإنسان أقنعة وذلك لمسايرة النّاس في طبائعهم وأفكارهم ومظاهرهم، فيحدث الانفصال عن حقيقة ذواتهم، وهذا ما يخلق ظاهرة الاغتراب، ونفس الفكرة نجدها عند نيقولاى برداييف Nicolas Berdyaev حين تحدّث عن "التنكر الاجتماعيّ" وانفصال الأنا الحقيقيّة عن الحياة الاجتماعيّة حيث يمثّل الإنسان أدواراً تبعاً للمركز الذي يشغله وباختلاف مستوياته، وهذا ما يحدث شرخاً بين الحقيقة والواقع، ويبيح للإنسان وضع أقنعة مزيفة تحتمها الأدوار الاجتماعيّة في المجتمعات الحديثة "والإنسان مع كونه ((ممثلاً)) دائماً فإنّه يصبح من العسير عليه إعادة اكتشاف نفسه، لا سيما إذا كان يلعب عدّة أدوار في الوقت نفسه. إنّها الأدوار التي كانت تؤدّيها باستمرار شخصيات تولستوي الروائيّة"³⁰

وإن كان القناع في أصله شيئاً مادياً يوحي بالتّماهي والاختفاء والاختباء فإنّ الفكرة في هذه الرواية توازي فكرة القناع وذلك من خلال تبني هوية الآخر من أجل البحث عن حقيقة الأرض، والتّاريخ، والمفارقة التي يجب أن نقف عندها، هي أنّ صاحب الأرض يرتدي وجه عدوّه كي يكتشف ذاته وإن كان قد برز موقفه من خلال قوله: "أنا أكتب رواية تاريخيّة

عن مريم المجدلية...وبيئة الرواية هنا في هذا السهل وقرية اللجون المهجرة، ولا يمكنني الوصول إلى هنا بحرية مستخدما هويتي الفلسطينية، فانتحلت شخصية صهيونية³¹.

فيطل الرواية في الحقيقة باحث تاريخ وأثار قرّر أن يكتب عن سيرة مريم المجدلية بهوية إسرائيلية، وإن لم يكن صدفة أن يكون منقبا عن الآثار، فهو يبحث في العمق التاريخي والمعرفي حتى يمد جذوره، ويثبت انتماءه، كما أنه ليس بالصدفة أن يبحث "نور المشهدي" المسلم عن سيرة مريم المجدلية المسيحية فهذه الثنائية (مسلم/مسيحي) توحى بفكرة فلسطين مهد الديانات، وتؤكد عليها، وتنفي فكرة أن تكون فلسطين أرضا لليهود، فهي تعود بهم إلى أصل التاريخ والحكاية، وهو كمتقّف حاول الردّ بالكتابة على السردية الغربية المشوّهة عن سيرة مريم المجدلية والتي وردت في رواية "شيفرة دافنشي" للكاتب الأمريكي "دان براون" من خلال تأليف رواية شارك المتلقّي في مخطّطها منذ البداية، وأراد أن يمنحها صوتا فلسطينيا متحديا بذلك ما فعله الاستشراق من تشويه للتاريخ في تساؤل يبيّن مغزى المخاطرة والمغامرة "لماذا ينتزع كاتب أجنبي المجدلية من سياقها التاريخي الجغرافي الفلسطيني ليلقي بها في مهاوي الغرب؟ لماذا؟"³².

وينطلق "المشهدى" من خلال هذا الطرح إلى تبني فكرة النضال الثقافي، وخوضه لحيثيات الفكر الكولونياليّ الذي تحدّث عنه صديقه مراد، إنها التفاصيل التي تؤدي في النهاية إلى معرفة كافية بالآخر الصهيوني؛ وفي هذا إشارة إلى التفاصيل التاريخية والثقافية، والنفسية، والمعرفية التي تمكّن الأنا (الفلسطيني) من معرفة الآخر (الإسرائيلي) ودراسته وتحليله من أجل التصدي له؛ وهذه هي فكرة التجديد في الرواية إذ لم يشتبك البطل بشكل مباشر مع عدّوه، بل فضّل التوغّل في معرفة عقلية ونظرته لهم من خلال ارتداء قناعه ممّا جعله يقدم نموذجا للتّيه والضياغ، وإن كانت الرواية في نسق ظاهر هي حكاية شاب يبحث عن أصول حكاية تاريخية قد ضاعت وحرقت، لكنه في مضمرة نسق ما بعد كولونياليّ يقوِّض الهيمنة الثقافية التي فرضها الآخر من أجل تبرير أفعاله الإمبريالية، هي سرد مضاد يعري خطابات المستعمر التي تسعى لتشويه التاريخ وبالتالي محو صورة الماضي والحاضر.

تقوم الهوية على مجموعة من الركائز منها اللغة والدين والمذهب والفكر والعقيدة والعقلية وحديثا أصبحت الأيديولوجيا من ضمنها أيضا، بالإضافة لما يملكه الفرد والمجتمع من الهوية الاقتصادية والعلمية والاجتماعية وما يتضمن من الموروثات التاريخية وتفرضها عليه جغرافية الشكل والنوع...³³ وتغيير إحدى هذه المقومات يعد تغييرا للهوية بشكل عام، ولم يكن تبني هوية الآخر الإسرائيليّ القناع الوحيد الذي لجأ إليه "نور" من أجل مهمته؛ بل استخدم بالتوازي أقنعة أخرى ساهمت في تبيّنه للآخر "وأما الهوية فكانت ملامحه ولغته العبرية المتقنة كفيّلتين بمروره الأمن إلى مقاصده الأثرية، والتاريخية الخاصة ببحثه عن أصول وأقدار مريم المجدلية"³⁴ فالملامح واللغة هي العناصر التي تشكّل هوية أي فرد، وإن كانت الخصائص الجسدية واللون، والجنس توجد معنا منذ الولادة لا يد لنا فيها — وهذا ما ساعد البطل-، فإنّ تعلّم العبرية هو فعل إراديّ لازم من أجل قراءة الآخر، والكشف عن تفاصيله الصغيرة — كما أشار مراد- وفيها يمكن التعبير عن مأساة أمة بأكملها.

لم يكن نور المشهدي راضيا عن القناع الذي تلبسه طيلة السرد؛ فكلّ الصّراعات النفسيّة التي لازمتها في رحلته دليل على عدم اقتناعه به، ويعتبره تشويها للهوية فيقول: "بالمناسبة يا مراد هل قلت لك يوما ما هو مقابل كلمة قناع بالعبرية؟ إنها تشبه في لفظها ومعناها الرديف بالإنجليزية ماسك mask وتلفظ بالعبرية مسخا، والمسح بالعبرية تعني مشوّهة الملامح... مسخ ومسيخة فهو ممسوخ مسخا... وأنا لا أرثدي قناعا، أنا أرثدي مسخا."³⁵

فالفكرة هنا أن قناع "أور" ليس ذلك القناع الذي قد يرغب أي فلسطيني في ارتدائه، فـ "المشهدى" شخصية محمّلة بأبعاد أيديولوجية ترفض المحتلّ في بداية الرواية لينتقل بعدها مستوى الصّراع بين الأنا والآخر من تنافر إلى تسامح نوعا ما، يمكن أن نطلق عليه الفكر التعايشيّ بينهما، هذا ما عكسته الأبيات الشعريّة التي وظّفها الكاتب

"خندقي" في الرواية من جدارية "محمود درويش" التي كتبها في آخر حياته، حيث أصبح "درويش" يدعو للتعايش الإنساني ورفض الحدود التي قد كلفت الناس فوق طاقاتها، فبالرغم من أن "أور" كان القناع المسخ إلا أن وجوده غير فكر "نور" رغم رفضه له، فالقناع رفض أن يسقط، وصنع اغترابا لـ: "نور" عن هويته وذاته، فمثل بذلك الاغتراب وكثف دلالاته في السرد الروائي.

إن القناع المزيف لا يمكن إلا أن ينتج ملامح مشوهة، تعمق من شعور البطل بالاغتراب عن ذاته وعن مجتمعه، إنه يمثل محاولة فاشلة للهروب من الواقع ومن الهوية الأصلية، ولكنه في النهاية يؤدي إلى تشويه الذات والهوية على المستويين النفسي والاجتماعي.

3. خاتمة:

يتناول هذا البحث الاغتراب في رواية "قناع بلون السماء" كنسق للصراع الهوي حيث لا يقتصر الاغتراب على كونه حالة فردية، بل يعكس تناقضات هوية متأثرة بالتفاعل مع الاحتلال. لجأ البطل الفلسطيني، "نور المشهدي" إلى التنكر بهوية "أور شابيرا" الإسرائيلي في محاولة لفهم الآخر، ما يعكس تمزقه بين هويته الأصلية والهوية المفروضة.

• تتجاوز الرواية الفرد لتظهر الاغتراب كأزمة جماعية يعانيها الفلسطينيون تحت الاحتلال، مع فقدان دلالات الوطن الأصلية. يعكس اغتراب "نور" بين عالمين صعوبة الانتماء لأي منهما، مما يؤدي إلى حالة من الفوضى الداخلية ولذلك تتمحور مستويات الاغتراب حول الاغتراب الذاتي، الاجتماعي، والمكاني، ما يعمق من صراع الذات.

• تشكل شخصية "نور" نموذجا لصراع الفرد في مواجهة واقع غير عادل؛ حيث دفعه اغترابه الذاتي إلى التنكر بهوية "أور شابيرا" لمحاولة فهم المجتمع الإسرائيلي من الداخل، مما أدى إلى ازدواجية هوياتية زادت من اضطرابه النفسي. كما يظهر الاغتراب الاجتماعي نتيجة للضغوط السياسية، إذ يشعر "نور" بالغربة في مجتمعه الفلسطيني المقهور. يبرز البحث أيضا شخصيات أخرى، مثل والد "نور" الذي اختار الصمت كوسيلة للتعبير عن الخيبة والعجز.

• يمثل المكان في الرواية حيزا للهوية، لكن "نور" يعاني من اغتراب مكاني في المخيم ورام الله؛ إذ يصبح المخيم -رمز الانتماء- مكانا للتمزق، وتتحول رام الله إلى فضاء معادٍ، يعكس هذا الاغتراب المكاني عدم استقرار الهوية الفلسطينية تحت وطأة الاحتلال حيث تصبح كل الأماكن سجوناً مادية أو معنوية.

• تقدم رواية "قناع بلون السماء" قراءة معقدة للاغتراب كظاهرة تتجاوز الفرد لتشمل المجتمع بأسره، مما يجعلها نقداً للهوية في عصر ما بعد الاستعمار، توضح الرواية أن الحل لا يكمن في مواجهة الآخر فقط، بل في استعادة الذات والهوية الأصلية التي يحاول الاحتلال طمسها، مقدّمةً بذلك رؤية للصراع الهوياتي المتجذر كإطار نقدي لآثار الاستعمار الثقافي والسياسي.

الإحالات والمراجع:

المصادر:

- (1) باسم خندقي: قناع بلون السماء، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط 1، 2023.
- المراجع:
- (1) إسماعيل جبارة: الذات والآخر، في أعمال مولود فرعون الروائية، دار الباحث للنشر والتوزيع، برج بوعريج، الجزائر، ط 1، مارس 2021.
- (2) أميرة علي الزهراني: الذات في مواجهة العالم، تجليات الاغتراب في القصّة القصيرة في الجزيرة العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 2007.
- (3) جان جاك روسو: اعترافات، ج 1، ت: محمد بدر الدين خليل، دمشق، دار طلاس، 1985.
- (4) جيرار برنس: المصطلح السرد، تر: عابد خازندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 01، 2003.

- (5) حسن يوسف: القناع بين المقدّس والمتخيّل المسرحي، مجلّة علامات، العدد الخامس، تاريخ النّشر: 13 أوت 2020، على الرّابط: <https://alamat.saidbengrad.net/?p=6698>.
- (6) حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربيّة، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2006.
- (7) ريتشارد شاخت: الاغتراب، تر: كامل يوسف حسين، د ط، بيروت، المؤسّسة العربيّة للدراسات العربيّة للدراسات، 1980.
- (8) ضربان حفيظة، رمضاني صوراية: الهوية الوطنية الجزائرية بين الإرث الحضاري ورهانات العولمة، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية المجلد 8، العدد 2، 2023.
- (9) الطيّب بودربالة: قراءة في كتاب "سيمياء العنوان" للدكتور بسام قطوس، محاضرات الملتقى الثاني، السّيمياء والنصّ الأدبيّ، منشورات الجامعة، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، 15 أفريل، 2002.
- (10) عاشور مولدي، مريم عثّي: تمكين المرأة و جدلية ترسيخ الهوية الثقافية في المجتمع الجزائري، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، المجلد 4، العدد 3، 2019.
- (11) العوفي نجيب: مقاربة الواقع في القصّة القصيرة المغربيّة: من التأسيس إلى التّجنيس، الدّار البيضاء، المركز الثّقافي العربيّ، 1987.
- (12) فرانز كافكا: المسخ، تر: منير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، سلسلة الشّريط الحريري، نيسان، أبريل 1991.
- (13) محمود رجب: الاغتراب: سيرة المصطلح، ط4، القاهرة، دار المعارف، 1993.
- (14) منى بشلم وآخرون: المحكي الرّوائي العربيّ أسئلة الذات والمجتمع، دار الأملية، قسنطينة، ط1، 2014.
- (15) موقع تدوين، تاريخ النّشر <https://tadween.alhadath.ps/article>
- (16) نبيل شايب: الانزياحات الدلالية للهوية الثقافية في الفضاء العمومي الافتراضي، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية المجلد 3، العدد 2، 2018.
- (17) نبيلة إبراهيم: فن القصّ في النظريّة والتّطبيق، القاهرة، مكتبة غريب، د ت.
- (18) نجوى الرّياحي القسنطيني: الأبطال وملحمة الانهيار، دراسة في روايات عبد الرّحمان منيف، مركز النّشر الجامعي، تونس، 1999.
- (19) نسيم بن سودة، محمد عروس: سؤال الهوية اليهودية في الحضارة الغربيّة من منظور سعد البازعي مقارنة في نقد النّقد، مجلّة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، المجلد 16، العدد 01، جوان 2023.
- (20) نيقولا بريديانف: العزلة والمجتمع، تر: فؤاد كامل (القاهرة: مكتبة التّهضة المصريّة، 1960.
- (21) يوسف محمد عباس: الاغتراب والإبداع الفتيّ، القاهرة: دار الغريب للطباعة والنّشر، 2004.